

الهوية الشخصية¹

ديريك بارفيت

Personal Identity - Derek Parfit

Source: The Philosophical Review Vol. 80:1, 1971

Published by: Duke University Press

ترجمة: جوزيف بوشرة

أعتقد أنّ باستطاعتنا أن نصفَ حالاتٍ لا نملك فيها أية فكرةٍ عن كيفية الإجابة على سؤالٍ متعلّقٍ بالهوية الشخصية «Personal identity»، على الرغم من أنّنا نعرف إجابة أيّ سؤالٍ آخر. هذه الحالات لا تشملها معايير الهوية الشخصية التي نستعملها فعلياً.

هل تطرح تلك الحالات مشكلةً؟

قد يُظنّ بأنّها لا تطرح شيئاً، لأنّها قد لا تحدث أبداً. وأنا أشكّ في حدوث البعض منها. (على سبيل المثال قد يصبح بعضها ممكناً علمياً.) لكنني سأزعم أنّه حتّى لو حدثت تلك الحالات فبي لن تطرح أية مشكلةٍ. إنّ هديّتي هو التصويب على اعتقادين: الأول متعلّق بطبيعة الهوية الشخصية، والثاني متعلّق بأهميّتها. يتمحور الأول حول أنّ وجوب امتلاك السؤال المتعلّق بالهوية في هذه الحالات جواباً.

عندما يتعلّق بالأمم أو الآلات مثلاً فلا ترى أحداً يفكّر بهذه الطريقة. ولا تشمل معاييرنا للهوية حالاتٍ معيّنة، فلا ترى أحداً يفكّر بأنّ على أسئلة تلك الحالات: «هل هي الأمة نفسها؟» أو «هل هي الآلة نفسها؟» أن تملك أجوبةً.

¹ ساعدني في كتابة هذا المقال كلٌّ من: «ديفيد ويغنز» (D. Wiggins)، «ديفيد ف. بيرز» (D. F. Pears)، «بيتر ف. ستراوسن» (P. F. Strawson)، «ألفرد جولز آير» (A. J. Ayer)، «مايكل وودز» (M. Woods)، «ن. نيومان» (N. Newman)، و«سيندي شوميكر» (S. Shoemaker) من خلال منشوراته.

يعتقد بعض الناس أنّهما في هذه الناحية مختلفان. فهم يتفقون على أنّ معاييرنا للهوية الشخصية لا تشمل حالات معينة، لكنهم يعتقدون أنّ طبيعة هوياتهم الخاصة عبر الزمن هي التي تضمن، بطريقة ما، أنّ على الأسئلة المتعلقة بهوياتهم في هذه الحالات أنّ تملك أجوبة. هذا الاعتقاد يمكن التعبير عنه بالآتي: «مهما سيحصل بين الزمن الحالي وأي زمن في المستقبل، فإنّ ما سألنا أنا موجوداً وإنّما لن أبقى. وأي تجربة مستقبلية فإنّما ستكون تجربتي وإنّما لن تكون.»

أعتقد أنّ لدى الاعتقاد الأول، وهو المتعلق بالطبيعة المميزة للهوية الشخصية، تأثيرات معينة. إذ يدفع هذا الاعتقاد بالناس إلى افتراض أنّ مبدأ المنفعة الذاتية «self-interest» أكثر إقناعاً منطقياً من أيّ مبدأ أخلاقيّ آخر. كما يجعل هذا الاعتقاد الناس أكثر كآبةً بفكرتي الشيوخة والموت.

لا يمكنني إيجاد الكيفية لدحض هذا الاعتقاد الأول. لذا سوف أصف حالة إشكالية «Problem case»، لكنّ هذه الإشكالية تكتفي بجعله غير قابلٍ للتصديق.

إنّما ثمة مقارنة أخرى تتلخّص بالآتي: بمقدورنا اقتراح سببٍ واحدٍ لهذا الاعتقاد وهو إسقاط مشاعرنا. عندما نتخيّل أنفسنا في حالة إشكالية نشعر أنّ على سؤال «هل سيكون أنا؟» أنّ يكون لديه جواباً. ولكنّ ما نعتبره حيرةً متعلّقةً بواقعةٍ إضافيةٍ، قد تكون مجرد حيرة همّنا.

أنا لن أتابع في الحديث عن هذا الاقتراح هنا. لكنّ السبب الأساس لهمّنا هو ذلك الاعتقاد الذي يشكّل هدفي الثاني. فالأمر على هذه الحال، إلّا إذا امتك السؤال المتعلّق بالهوية جواباً، فنحن لا نستطيع الإجابة على أسئلةٍ معينةٍ هامّةٍ (أسئلة تتعلّق بمسائل مثل النّجاة، الذاكرة، والمسؤولية).

مقابل هذا الاعتقاد الثاني سيكون مزعبي هو الآتي: تفترض مسبقاً بعض الأسئلة الهامة سؤالاً متعلّقاً بالهوية الشخصية. إنّما بإمكانها أنّ تتحرّز من هذا الافتراض المسبق. وعندما يتمّ ذلك، فلن يبقى لدى السؤال المتعلّق بالهوية أيّة أهميّة.

نبدأ بتفحص الحالة الأكثر مناقشة والمتعلقة بالرجل الذي ينقسم² مثل الأميبا «Amoeba». وقام ويغنز «Wiggins» حديثاً بجعل هذه الحالة درامية³، فقد أشار أولاً إلى العملية التي تخيلها شوميكر «Shoemaker»⁴: لنفترض أن دماغي زُرع في جسم شخصٍ آخر (من دون دماغٍ)، وأن الشخص الناتج «resulting person» عن ذلك لديه شخصيتي والذكريات الظاهرة «apparent memories» لحياتي. سيتفق معظمنا، بعد المراجعة والتفكير، على أن الشخص الناتج عن ذلك هو أنا. وهذا الموقف المتفق عليه⁵ هو الذي سوف أتخذه هنا.

تخيل ويغنز لاحقاً عمليةً الخاصة: قُسم دماغي نصفين، ووُضع كل نصفٍ منه في جسمٍ جديدٍ. كلا الشخصين الناتجين عن ذلك لديهما شخصيتي والذكريات الظاهرة لحياتي.

ماذا يحصل لي؟ يبدو أن ثمة ثلاث احتمالاتٍ فقط، وهي: (1) لن أنجو؛ (2) أنجو كواحدٍ من الشخصين؛ (3) أنجو ككلا الشخصين.

المشكلة في (1) هو التالي: اتفقنا على أنني أستطيع النجاة إذا ما زُرع دماغي بنجاح، وفي الواقع نجا أناسٌ على الرغم من تلف نصف أدمغتهم. وتبعاً لذلك يبدو أنني أستطيع النجاة إذا ما زُرع بنجاح نصف دماغي وتُلف

² نعثر عليها مضمرةً عند

John Locke, *Essay Concerning Human Understanding*, ed. By John W. Yolton (London, 1961), Vol. II, Ch. XXVII, sec. 18.

وناقشها (إلى جانب كثيرٍ) أيضاً

A. N. Prior in “Opposite Number,” *Review of Metaphysics*, II (1957_ 1958), and “Time, Existence and Identity,” *Proceedings of the Aristotelian Society*, LVII (1965_ 1966).

J. Bennett in “The Simplicity of the Soul,” *Journal of Philosophy*, LXIV (1967).

R. Chisholm and S. Shoemaker in “The Loose and Popular and the Strict and the Philosophical Senses of Identity,” in *Perception and Personal Identity: Proceedings of the 1967 Oberlin Colloquium in Philosophy*, ed. by Norman Care and Robert H. Grimm (Cleveland, 1967).

³ راجع:

Identity and Spatio-Temporal Continuity (Oxford, 1967), p. 50.

⁴ راجع:

Self-Knowledge and Self-Identity (Ithaca, N.Y., 1963), p.22.

⁵ الذين سيختلفون في الرأي لا يقدمون على ارتكاب غلطةٍ. إذ بالنسبة لهم ستحتاج حجتي حالةً مختلفةً. لا بد أن يكون هناك العديد من عمليات الزرع، وفور مواجهتهم بها سيجد هؤلاء الناس أنه من الصعب التصديق بوجود امتلاك جوابٍ للسؤال المتعلق بالهوية الشخصية، وبالقدرة على إظهار أن ما من شيءٍ مهمٍ يتمحور حول هذا السؤال.

النَّصْفُ الآخر. ولكنْ إنْ تكن الحال كذلك فكيف يمكنني ألا أنجو إذا ما زُرِع النَّصْف الآخر بنجاحٍ أيضًا؟ كيف يمكن لنجاحٍ مزدوجٍ أن يكونَ فشلاً؟

والآن باستطاعتنا الانتقال إلى الوصف الثاني: ربّما يكفيني نجاح زرعٍ واحدٍ، ربّما سأصبح أحد الشّخصين النّاتجين عن ذلك.

المشكلة هنا هو أنّه في حالة ويغنز كلّ نصفٍ من دماغي مشابهةً للآخر تمامًا، وكذلك كلّ شخصٍ ناتجٍ عن ذلك سيكون أيضًا مشابهًا للآخر تمامًا. إذن كيف يمكنني النّجاة كواحدٍ فقط من هذين الشّخصين؟ ما الذي يجعلني واحدًا منهما بدلًا عن كوني الآخر؟

من الواضح أنّ كلا الوصفين _ أتني لا أنجو، وأتني أنجو كواحدٍ من الشّخصين _ لا يقبلان التّصديق بشكلٍ كبيرٍ. فالذين قبلوا بالوصفين لا بدّ من أتهم اعتبروا أنّ ليس من مُمكنٍ سواهما.

لكنّ ماذا عن وصفنا الثالث: نجاتي كشخصين؟

يمكن القول «إذا يتضمّن فعل «نجا» الهوية، فلن يحويّ هذا الوصف على أيّ معنى – أي إنك لا تستطيع أن تكونَ شخصين. وإذا لا يتضمّن الهوية، فالوصف لا قيمةً له حينما يتعلّق الأمر بمشكلةٍ حول الهوية.»

سأنفي لاحقًا ثاني هذه الملاحظات. إنّما ثمّة طرقٌ لنفي الأول. إذ يمكن القول أنّ «ما أسميناه بالشّخصين النّاتجين ليسا شخصين، إنّما هما شخصٌ واحدٌ. أنا أنجو من بعد عمليّة ويغنز. ونتيجتها إعطائي جسمين مع ذهنٍ منقسمٍ.»

إذا كانت سخيفةً فسوف تقلّص حجّتي. لكنّي لا أعتقد أنّها كذلك، ومن المُستحقّ إظهار السبب في ذلك.

أقترح أنّ باستطاعتنا تخيّل ذهنٍ منقسمٍ. نستطيع تخيّل رجلٍ لديه تجربتانٍ متزامنتانٍ «simultaneous experiences»، وعند امتلاكه واحدةً منهما هو غير واعٍ بامتلاكه الأخرى.

نحن لسنا بحاجةٍ حتّى إلى تخيّل هذا الأمر.

تبدو بعض الحالات الفعلية التي أشار إليها ويغنز أنّها توصف أفضل وصفٍ من خلال هذه المفاهيم. إذ تتضمّن هذه الحالات الفعلية قطع الصّلة بين نصفي الكُرّة للدماغ «Hemispheres of the brain». فقد كانت الغاية من العمليّة شفاء الصّرع «epilepsy»، لكنّ النتيجة بدت بحسب الجراح نفسه خلق «حلقتين منفصلتين من

الوعي «two spheres of consciousness»⁶، تتحكّم كلّ واحدةٍ منهما بنصفٍ من جسم المريض. لذلك يُفترضُ أنّ أي تجربةٍ تختبرها كلّ حلقةٍ منهما سيختبرها المريض أيضاً.

ثمّة تعقيداتٌ معيّنة في هذه الحالات الفعلية. لذا فلنتخيّل حالةً أبسط.

لنفترض أنّ الصّلة بين نصفي الكرة لدماعي وُضعت تحت سيطرتي الإرادية. سيمكّنني هذا من فصل نصفي الكرة لدماعي عن بعضهما البعض بسهولةٍ كأني أرمش بعيني، وعبر قيامي بهذا الأمر سأقسم ذهني. وباستطاعتنا أن نفترض أنّه عندما ينقسم ذهني فبمقدوري أيضاً أن أعيد جمع كلّ نصفٍ منه.

سيكون لتلك المقدرة استعمالاً واضحةً. ولكي أعطي مثلاً على ذلك: أنا اقتربتُ من ختام امتحان الرياضيات، ولا أرى سوى طريقتين لمقاربة المشكلة الأخيرة. لذا أقرّر أن أقسم ذهني نصفين، ليعمل كلّ نصفٍ على احتسابٍ من الاحتمالين بشكلٍ منفصلٍ عن الثاني، وبعد ذلك أقرّر أن أعيد جمع ذهني كي أكتب نسخةً واضحةً لأفضل نتيجة.

ما التجربة التي سأختبرها؟

عندما أقوم بفصل نصفي الكرة لدماعي ينقسم وعي باتجاهين «two streams». لكنّ هذا الانقسام ليس شيئاً أختبره. يبدو كلّ اتجاهٍ من اتجاهي وعي مستمرّاً بشكلٍ مباشرٍ مع الاتجاه الواحد لوعي حتى لحظة الانقسام. فالتغيرات الوحيدة التي حصلت في كلّ اتجاهٍ من الاتجاهين هي: اختفاء نصف إطار الرؤية لدي، وفقدان الإحساس في نصف جسدي، وكذلك فقدان السيطرة عليه.

فلنأخذ بعين الاعتبار تجاربي في ما نستطيع تسميته باتجاهي الأيمن «right-handed stream». تذكّرت أنّي أوكلت يدي اليمنى لحلّ العملية الحسابية الطويلة. وبذلك سأبدأ الآن: في أثناء العمل على هذا الاحتساب أرى عبر ملاحظة حركات يدي اليسرى أنّي أيضاً أعمل على الاحتساب الآخر. لكنّي لست واعياً على عملي بالآخر. إذن، في اتجاهي الأيمن اليد قد أتساءل أين أصبحت في العمل على الحلّ في اتجاهي اليسرى اليد «left-handed stream».

⁶ R. W. Sperry, in *Brain and Conscious Experience*, ed. By J.C. Eccles (New York, 1966), p. 299.

الآن انتهى عملي الحسابي. وإتني على وشك إعادة توحيد ذهني. ماذا عليّ أن أتوقع ما في كلّ اتجاهٍ؟ بكلّ بساطةٍ الجوابُ على ذلك هو أنّي سأتذكّر فجأةً حلّي احتسابين، إذ عند حلّي لواحدةٍ لم أكن واعياً على حلّي للأخرى. أجادلُ أنّ باستطاعتنا تخيّل هذا. وإذا كان ذهني منقسمًا فستكون تلك الذكريات صحيحةً.

في وصف هذه الحادثة، أفترض أنّ ثمة سلسلتين من الأفكار، وأتّهما ملكي. فإذا كتبتُ يداي بشكلٍ واضحٍ احتسابين، وإذا زعمتُ بأنّي أتذكّر سلسلتين متجانستين من الأفكار فهذا حتمًا ما ينبغي علينا قوله.

إنّ تكن الحال كذلك فلا يجب أن يشبه التاريخ الذهني «mental history» لشخصٍ قناةً ذات مسلكٍ واحدٍ فقط. إذ بمقدور هذا التاريخ الذهني أن يشبه نهرًا ذا جزرٍ وجداولٍ منفصلةٍ.

كي نقوم بتطبيق هذا الأمر على عمليةٍ ويغنز: ذكرنا سابقًا الرأي القائل بأنّها تعطيني جسمين وذهنًا منقسمًا. ونحن لا نستطيع الآن تسمية هذا الرأي سخيًا، إنّما أعتقد أنّه غير كافٍ.

لقد كان هناك سمتانٍ لقضية الامتحان اللتان دفعنا بنا إلى القول أنّ شخصًا واحدًا مشاركٌ فيه. وسرعان ما أعاد الذهنُ جمع نفسه وما كان هناك سوى جسمٍ واحدٍ. إذا كان الذهن منقسمًا بشكلٍ دائمٍ وتطوّر شطراه بطرقٍ مختلفةٍ، فأبى كلامٍ عن وجود شخصٍ واحدٍ سيختفي تدريجيًا. وتبدو حالة ويغنز، حيث ثمة جسمانٍ أيضًا، أنّها تخطّت الحدود. وبعدها خضتُ عمليته سيكون لدى كلّ منتجٍ من المنتجين «products» الصّفات جميعها الموجودة عند أيّ شخصٍ، ويستطيعان العيش منفصلين، كلّ في طرفٍ مُقابلٍ من أطراف الأرض. (إذا التقيا لاحقًا فسيعجزان عن التعرّف على بعضهما)، وسيكون من الصّعب نفي أنّهما شخصانٍ مختلفانٍ.

لنفترض أنّنا سلّمنا بأنّهما شخصانٍ مختلفانٍ. بإمكاننا الاستمرار في الرّغم أنّي نجوت ككليهما، مستعملين الفعل «نجا» للإشارة إلى الهوية؟

الإجابة على السّؤال هي نعم نستطيع، إذ بإمكاننا اقتراح أنّه باستطاعة الشخصين الناتجين عن العملية تأليف شخصٍ ثالثٍ. ويمكننا القول أنّي «أنجو من بعد عملية ويغنز كشخصين. وباستطاعة هذين الشخصين أن يكونا مختلفين، وعلى الرّغم من ذلك يبقيان أنا، كما هي الحال في تيجان البابا الثلاثة التي تشكّل تاجًا واحدًا»⁷

⁷ قارن:

Cf. David Wiggins, *op. cit*, p. 40.

هذه طريقةٌ ممكنةٌ لإضافة بعض العقلانية للمزعم القائل أنني أنجو كشخصين مختلفين، مستعملاً فعل «نجا» للإشارة إلى الهوية. لكنّها تبقى على لغة الهوية فقط عبر تغيير مصطلح الشخص. وثمة اعتراضات واضحة على هذا التغيير.⁸

أما البديل الذي سأجادل من أجله فهو التخلي عن لغة الهوية. بإمكاننا الاقتراح أنني أنجو كشخصين مختلفين من دون الإشارة إلى أنني هذان الشخصان.

عندما ذكرت لأول مرة هذا البديل، ذكرت هذا الاعتراض: «إذا لا تتضمن طريقتك الجديدة في التكلم الهوية في لا تستطيع حل مشكلتنا. لأنها تتعلق بالهوية. فالمشكلة هي أن الأجوبة الممكنة كلها للسؤال المتعلق بالهوية غير قابلة للتصديق.»

والآن بإمكاننا الإجابة على هذا الاعتراض.

نستطيع أن نبدأ بتذكير أنفسنا أن هذا هو اعتراض فقط إذا تمسكنا بأحد أو بكلا الاعتقادين اللذين ذكرتهما في بداية هذه المقالة.

الأول كان الاعتقاد القائل بأن لكل سؤال متعلق بالهوية الشخصية، في أية حالة قابلة للوصف، لا بد أن يكون له إجابة صادقة. واللذين يتمسكون بهذا الاعتقاد تُظهر لهم حالة ويغز إرباكاً مزدوجاً.

إن تكن الأجوبة الممكنة كلها غير قابلة للتصديق فسيصعب هذا اتخاذ قرار بشأن صدقية أية واحدة منها، وسيصعب أيضاً التمسك بالاعتقاد القائل بوجود صدقية واحد منها. إذا تخلينا عن هذا الاعتقاد، وهذا ما ينبغي علينا فعله برأيي، فستختفي تلك المشاكل. عندئذ سنعتبر تلك الحالة كمثال للحالات الأخرى حيث ليس ثمة من جواب للسؤال المتعلق بالهوية، وذلك لأسباب غير محيرة. (ولنأخذ بعين الاعتبار جملة «هل بقيت إنكلترا الأمة نفسها بعد سنة 1066؟»)

⁸ لنفترض أن الشخصين الناتجين خاضا مبارزة. هل من ثلاثة أشخاص يتبارزون، واحد على كل جهة، والثاني على الجهتين؟ ولنفترض أن إحدى الرصاصات انطلقت قاتلة، فهل ثمة فعلين، وجريمة واحدة، وانتحار واحد؟ كم من أشخاص بقوا على قيد الحياة؟ واحد أم اثنان؟ (بإمكاننا القول تقريبياً «واحد ونصف.») بمقدورنا الكلام بهذه الطريقة. لكن عوضاً عن القول أن الشخصين الناتجين هما الشخص الأصلي _ وبذلك يصبح الثنائي ثلاثياً _ سيكون من الأسهل معاملتهما كثنائي، ووصف علاقتهما بالشخص الأصلي بطريقة جديدة. (أنا مدين لمايكل وودز «Michael Woods» لاقتراحه علي هذه الطريقة في الكلام والاعتراضات عليها.)

تجعل حالة ويغز من الاعتقاد الأول غير قابلٍ للتصديق، وكذلك تجعله تافهًا، لأنها تقلل من شأن الاعتقاد الثاني. هذا كان الاعتقاد حيث تتمحور فيه الأسئلة الهامة حول السؤال المتعلق بالهوية. (وتجدر الإشارة إلى أن هؤلاء الذين يتمسكون بالاعتقاد الثاني وحده، لا يعتقدون بوجود امتلاك إجابة على هذا السؤال، لكن عوضًا عن ذلك يجب أن يقع اختيارنا على جواب).

وإنّ مزعمي مقابل هذا الاعتقاد الثاني هو الآتي: تفترض مسبقًا بعض الأسئلة سؤالًا متعلقًا بالهوية الشخصية، ولأنّ هذه الأسئلة مهمة فحالة ويغز تطرح مشكلةً. لكننا لا نستطيع حلّ هذه المشكلة من خلال الإجابة على السؤال المتعلق بالهوية. بإمكاننا حلّ هذه المشكلة فقط من خلال إبعاد هذه الأسئلة المهمة عن السؤال المتعلق بالهوية. وفور انتهائنا من ذلك لن يكون للسؤال المتعلق بالهوية أية اهتمام (على الرغم من أننا قد نختار ذلك من أجل الترتيب).

ولأنّ ثمة أسئلة عدّة تفترض مسبقًا الهوية، سيتطلب هذا المزمع بعض الوقت كي يكتمل.

بإمكاننا العودة أولاً إلى السؤال المتعلق بالنجاة. وهذه حالة فريدة، فلا تفترض مسبقًا النجاة الاحتفاظ بالهوية بقدر ما تبدو مساوية لها. إذن إنها العلاقة العامة التي نحتاج إلى إبعادها عن الهوية. عندها نستطيع الأخذ بعين الاعتبار العلاقات الخاصة كتلك المتعلقة بالذاكرة والمقصد «intention».

قلتُ أنّ سؤال «هل سأنجو؟» يبدو مساويًا لسؤال «هل سيكون هناك من شخص حيّ الذي يكون هو الشخص نفسه مثلي؟»، إذا تعاملنا مع هذه الأسئلة على أنّها مساوية لبعضها، فأعتقد إذن أنّ الوصف الأقلّ إرضاءً لحالة ويغز هو أنني أنجو بجسمين وبذهنٍ منقسم.

اختار العديد من الكتاب أن يقولوا بأنني لست أيًا من الشخصين الناتجين عن العملية. وعلى ضوء التساوي الموجود عندنا، يتضمّن هذا القول عدم نجاتي. وهكذا يُفترض، حتى ولو لم تكن عملية ويغز موتًا فعليًا، عليّ أن أعتبرها موتًا لآتي لن أنجو من بعدها. لكنّ هذا يبدو سخيفًا.

ويستحقّ الأمر تكرار السبب في كونه كذلك. يُمكن انتقاد شعورٍ أو موقفٍ بسبب استناده على اعتقادٍ خطأ «false belief» أو لكونه غير متجانسٍ. أظنّ أنّ على الرجل الذي اعتبر عملية ويغز موتًا أن يكون منفتحًا على انتقادٍ واحدٍ من هذه الانتقادات.

بإمكانه الاعتقاد أنّ علاقته مع كلّ واحدٍ من الشخصين الناتجين تعجز عن احتواء بعض العناصر التي تحويها النجاة. ولكن كيف يمكن لهذا الأمر أن يكون صادقًا؟ لقد اتفقنا أنّه سينجو إن ثبت في هذه العلاقة نفسها مع

واحدٍ فقط من الشَّخصينِ النَّاتجينِ. إذن في حالة ويغنز ليست طبيعة هذه العلاقة ما جعلتها تعجز على أن تكونَ نِجاةً. إنّما ما جعلها كذلك ليس سوى النَّسخ «Duplication».

لنفترض أنّ رَجُلنا سَلَمَ بذلك، لكنّه لا يزال يعتبر الانقسام موتًا، سيبدو تفاعله الآن غير متجانسٍ بشكلٍ كاملٍ. فسيشبهه رجلاً، عندما قيل له عن مخدِّرٍ قد يضاعف سنين حياته، اعتبر استعمالَ هذا المخدِّرِ موتًا. في حين أنّ الاختلاف الوحيد بين هذا المثل وبين حالة الانقسام هو أنّ السنين الإضافيّة فيها تتراكمُ متزامنةً. هذا اختلافٌ مثيرٌ للاهتمام، لكنّه لا يعني أنّ ليس ثَمّة من سنينٍ كي تتراكمُ.

لقد جادلتُ بهذه الحجّة لأولئك الذين يظنّون أنّه يجب أن يكون هناك جوابًا صادقًا للسؤال المتعلّق بالهويّة في حالة ويغنز. بالنّسبة لهم بإمكاننا أن نضيف: «ربّما يخسر الشَّخص الأصليّ هويّته. لكن قد يكون هناك طرقٌ أخرى لخسارتها بدلاً من الموت. إحدى الطّرق قد تتمثّل في التّكاثر، واعتبار ما ينتج عن ذلك يكون نفسه، فهو بمنزلة الخلط بين الصّفَر والاثنين.»

أمّا الذين يظنّون أنّ سؤال الهويّة خاضعٌ لاتّخاذ قرارٍ فسيبدو سخيًّا اعتبار عمليّة ويغنز موتًا. فينبغي على هؤلاء النّاس أن يظنّوا أنّه «باستطاعتنا اختيار أن نقولَ أنّه عليّ أن أكون واحدًا من الشَّخصينِ النَّاتجين. وإذا اخترنا قول ذلك فلا ينبغي أن أعتبر عمليّة ويغنز موتًا. ولكن بما أنّنا اخترنا أن نقولَ أنّي لست أيًّا من الشَّخصين فسأعتبرها موتًا.» وهذا أمرٌ يصعب فهمه.⁹

إذن إن استنتاجي الأوّل هو الآتي: العلاقة التي تربط الشَّخص الأصليّ بكلّ من الشَّخصينِ النَّاتجين تحتوي على كلّ ما يثير اهتمامنا، أي كلّ ما يهمُّ «all that matters» في أيّة حالةٍ عاديّةٍ للنّجاة. لهذا السّبب نحتاج إلى طريقةٍ حيث يستطيع الشَّخصُ الواحد أن ينجو كشخصين.¹⁰

سيكون أحد أهدافي في بقيّة هذه المقالة هو اقتراح تلك الطّريقة. إنّما أولاً باستطاعتنا وضع بعض الملاحظات العامّة.

II

⁹ قارن:

Sydney Shoemaker, in *Perception and Personal Identity: Proceedings of the 1967 Oberlin Colloquium in Philosophy*, loc. cit.

¹⁰ قارن:

David Wiggins, op. cit., p.54.

إنّ الهوية هي علاقةٌ أحاديّةٌ «One-one relation». إذ تسهم حالة ويغنز في إبراز أنّ ما يهّم في النّجاة لا يحتاج إلى أن يكون أحاديّاً «one-one».

طبعاً، من غير المحتمل أن تحدث حالة ويغنز. وفي الواقع إنّ العلاقات التي تهّم هي أحاديّةٌ. ولأنّها كذلك، فباستطاعتنا أن نضمّن التمسك بهذه العلاقات من خلال لغة الهوية.

هذا الاستعمال للغة ملائم، إنّما باستطاعته أن يضلّلنا. بإمكاننا الافتراض أنّ ما يهّم هو الهوية، وبذلك يكون لديه خواصّ الهوية «properties of identity».

ففي خاصّة كونها أحاديّةً ليس هذا بالخطأ الجسيم، لأنّ ما يهّم في الواقع هو الأحاديّة. ولكن في حالة خاصّةٍ أخرى فهذا خطأٌ جسيمٌ. لذا ليس من موقفٍ وسطٍ لدى الهوية. وفي الواقع إنّ معظم العلاقات التي تهّم في النّجاة هي علاقاتٌ ذاتُ درجاتٍ. إذا تجاهلنا هذا فسوف نُقاد إلى اعتقاداتٍ ومواقفٍ غير مبنيةٍ على أسسٍ صحيحةٍ.

هذا المزعم الذي ذكرته الآن، والقائل بأنّ معظم ما يهّم هو علاقاتٌ ذاتُ درجاتٍ، لا زال عليّ دعمه. الثّبيء الوحيد الذي تظهره حالة ويغنز هو أنّ هذه العلاقات لا تحتاج إلى أن تكون أحاديّةً. فليست مزيةً هذه الحالة في أنّها تُظهر هذا الأمر بشكلٍ خاصّ، وإنّما في أنّها أول من فصل بين ما يهّم وبين الهوية. ومن الصّعب تجاوز الاعتقاد القائل أنّ الهوية هي ما يهّم. إذ يظهر هذا في معظم النقاشات الدّائرة حول الحالات الإشكاليّة التي تحدث فعليّاً: كالحالات المتعلّقة بفقدان الذاكرة «amnesia» أو الضّرر الدماغيّ. وحالما سجّلت حالة ويغنز اختراقاً واضحاً في هذا الاعتقاد السّائد فسيكون من الأسهل إزالة الباقي.¹¹

¹¹ نجدها جليّةً هنا عند:

Bernard Williams' "The Self and the Future", *Philosophical review*, LXXIX (1970), 161 – 180. حيث يطرح وليامز سؤال «هل سأنجو؟» في سلسلة من الحالات الإشكاليّة، فيظهر كيف أنّه من الطّبيعيّ الاعتقاد بأنّ (1) ينبغي على هذا السؤال أن يمتلك جواباً، و(2) ينبغي على الجواب ألا يتخذ موقفاً وسطاً، وأنّ (3) ثمة خطورة في توصلنا لجوابٍ خطأ. وبسبب طبيعيّة هذه الاعتقادات، فسوف نحتاج نحن إلى مناقشة أسبابها عبر التقليل من شأنها. أعتقد أنّه يمكن إيجادها في الطّرق التي نؤوّل بخطأ فيها ما علينا تدكّره (قارن المقطع III في الأسفل) وتوقعه (قارن Williams' "imagination and the Self", *Proceedings of the British Academy*, LII [1966], 105 - 124)؛ وكذلك في الطريقة التي يتمّ فيها إسقاط بعض سمات همنا الأنانيّ «egoistic concern» على موضوعها، مثلاً: إنّها بسيطة، وتتنطبق على الحالات المتخيّلة كلّها. (لقراءة مناقشةٍ جليّةٍ أخرى، انظر في الفصول الأخيرة من كتاب تيرانس بينيلم «Terence Penelhum» [London, 1970] *Survival and Disembodied Existence*)

وبالاطلاع على جدالٍ حصل مؤخرًا: إذ يمكن الإشارة مؤقتًا إلى معظم العلاقات التي تهتم تحت عنوان «الاستمرارية النفسية» «Psychological continuity» (والتي تضم الاستمرارية السببية «Causal continuity»). إنّ مزعي هو الآتي هو أننا نستعمل لغة الهوية الشخصية لتضمين استمرارية كتلك. ويقرب هذا الرأي من الرأي القائل بأن الاستمرارية النفسية تؤمن معيارًا للهوية.

هاجم وليامز «Williams» هذا الرأي بالحجة الآتية: إنّ الهوية علاقةً أحاديةً، لذا ينبغي على أيّ معيارٍ للهوية أن يحتكم لعلاقةً أحاديةً منطقيًا. الاستمرارية النفسية ليست أحاديةً منطقيًا، لذا لا يمكنها تأمين معيارٍ.¹² وقد ردّ بعض الكتاب على وليامز بأنّه في الواقع يكفي فقط أن تكون العلاقة المحتكم إليها أحاديةً دائمًا.¹³ أما أنا فأقترح ردًا مختلفًا قليلًا: الاستمرارية النفسية هي الأساس لانطلاق كلّ كلام عن الهوية إن تكن أحاديةً. إذا اتخذت الاستمرارية النفسية شكلًا متعددًا «one-many» أو متفرعًا «branching» فسوف نحتاج، ولطالما جادلت بهذا الأمر، إلى التخلي عن لغة الهوية. إذن لن يُعدّ هذا الاحتمالُ ضدّ هذا الرأي. بإمكاننا وضع مزعمٍ أقوى، وسيصبُّ هذا الاحتمال لصالحه.

يمكن الدفاع عن هذا الرأي بالآتي: لدى أحكام الهوية الشخصية أهميةً كبرى، وما يعطيها تلك الأهمية هو واقع أنّها تتضمن الاستمرارية النفسية. لهذا السبب كلّما ثمة استمرارية كتلك علينا، إن استطعنا، أن نتضمّنّها عبر وضع حكمٍ للهوية.

إذا اتخذت الاستمرارية النفسية شكلًا متفرعًا فلا تستطيع أية مجموعةٍ متماسكةٍ من أحكام الهوية أن تتجانس معها، وتاليًا يمكن استعمالها لتضمين هذا الشكل المتفرع للعلاقة. ولكن ما ينبغي علينا فعله في حالة كهذه هو انتزاع الأهمية المرتبطة بحكمٍ للهوية، وإلحاق هذه الأهمية مباشرةً بكلّ فرعٍ من العلاقة المتفرعة. إذن تساهم هذه الحالة في تبين أنّ أحكام الهوية الشخصية تستمدُّ أهمّيّتها من واقعة تضمينها الاستمرارية النفسية. إذ تساعدنا هذه الحالة على تبين أنّه عندما نستطيع بشكلٍ مفيدٍ أن نتكلّم عن الهوية فستكون هذه العلاقة أساس انطلاقنا.

¹² “Personal Identity and Individuation,” *Proceedings of the Aristotelian Society*, LVII (1956-1957), 229-253; also *Analysis*, 21 (1960-1961), 43-48.

¹³ J. M. Shorter, “More about Bodily Continuity and Personal Identity,” *Analysis*, 22 (1961-1962), 79-85; and Mrs. J. M. R. Jack (unpublished).

وهذا الأخير يشدّد على أنّ تكون تلك الحقيقة موضوعاً في نظرية سببية «Causal theory».

تحتكم هذه الحجّة إلى المبدأ الذي قدّمه وليامز¹⁴، والقائل بأنّه ينبغي تأكيد أو نفي الحكم الهامّ فقط على أسسٍ مختلفةٍ بشكلٍ هامّ.

طبّق وليامز هذا المبدأ على حالةٍ حيث يكون فيها رجلٌ مستمرّاً نفسياً مع غاي فوكس «Guy Fawkes» الميت، وعلى حالةٍ حيث يكون فيها رجلانٍ مستمرّانٍ معه أيضاً. وكانت حجّته هي الآتية: إذا تعاملنا مع الاستمرارية النفسية على أنّها أساسٌ كافٍ للتكلّم عن الهوية، فسنسلّم بأنّ هذا الرجل هو غاي فوكس. لكننا لا نستطيع القول أنّ كلا الرجلين يكونان غاي فوكس، على الرّغم من وجوب امتلاكنا الأساس نفسه. وهذا ما يخالف المبدأ. أمّا الحلّ فيكون في نفي أنّ هذا الرجل هو غاي فوكس، وفي الإصرار على أنّ تطابق الجسم أمرٌ ضروريٌّ للهوية. يستطيع مبدأ وليامز أن يحمل جواباً مختلفاً. لنفترض أنّنا نعتبر الاستمرارية النفسية مهمّةً أكثر من تطابق الجسم.¹⁵ ولنفترض أنّ ذلك الرجل فعلاً هو مستمرٌّ نفسياً (وسببياً) مع غاي فوكس. لذا إنّ يكن كذلك فسوف يخالف المبدأ لنفي أنّه غاي فوكس، إذ لدينا الأساس الهامّ نفسه كما في أيّة حالةٍ عاديةٍ للهوية. وفي حالة الرجلين لدينا مجدّداً الأساس الهامّ نفسه. إذن علينا انتزاع الأهميّة عن حكم الهوية وإلحاقها مباشرةً بهذا الأساس. وينبغي علينا القول، كما في حالة ويغنز، أنّ كلّ فرعٍ من العلاقة المتفرّعة سيساوي النّجاة. وهذا ما لا يخالف المبدأ.

لكي أختصر هذه الملاحظات: حتّى لو لم تكن الاستمرارية النفسية منطقيّةً أو أحاديّةً فهي تستطيع تأمين معيارٍ للهوية. وبإمكان ذلك أن يحتكم إلى علاقة الاستمرارية النفسية اللامتفرّعة «non-branching» والتي تكون أحاديّةً منطقيّاً.¹⁶

يمكن ترسيم المعيار بالآتي: «س و ص هما الشخص نفسه إنّ يكونا مستمرّين نفسياً وليس ثمة من شخصٍ يكون متزامناً مع كليهما أو مستمرّاً نفسياً مع الآخر.» لا بدّ لنا من تفسير ما نعنيه بجملة «مستمرٌّ نفسياً»

¹⁴ *Analysis*, 21 (1960-1961), 44.

¹⁵ راجع الأسباب التي قدّمها

A.M. Quinton in "The Soul," *Journal of Philosophy*, LIX (1962), 393-409.

¹⁶ قارن:

S. Shoemaker, "Persons and their Pasts," to appear in the *American Philosophical Quarterly*, and "Wiggins on Identity," *Philosophical Review*, LXXIX (1970), 542.

«Psychologically continuous» ومن التصريح بكمية الاستمرارية التي يتطلّبها المعيار. إذن أعتقد أنّه علينا وصف شرطٍ كافٍ للتكلم عن الهوية.¹⁷

نحن بحاجةٍ إلى قول المزيد في هذا الشأن. إذا سلّمنا بأنّ الاستمرارية النفسية قد لا تكون أحاديةً، فنحن بحاجةٍ إلى أن نصرّح بما ينبغي علينا فعله إن لم تكن أحاديةً. وإلاّ فسيكون تفسيرنا مفتوحاً أمام الاعتراضات القائلة أنّ الاستمرارية النفسية ناقصةٌ واعتباطيةٌ «arbitrary».¹⁸

لقد اقترحت أنّه إذا اتّخذت الاستمرارية النفسية شكلاً متفرّعاً فينبغي علينا أن نتكلم بطريقةٍ جديدةٍ، معتبرين ما نصفه أنّ لديه الأهمية نفسها كالهوية. وهذا يجب على تلك الاعتراضات.¹⁹

باستطاعتنا العودة إلى نقاشنا السابق. لا يزال أمامنا ثلاثة أهدافٍ باقيةٍ: الأول هو اقتراح معنى لفعل «نجا» الذي لا يتضمّن الهوية، والثاني هو تبين أنّ معظم ما يهمّ في النجاة هو علاقات ذات درجاتٍ، أمّا الثالث فهو تبين أنّ أيّاً من تلك العلاقات لا يحتاج إلى أن يوصفَ بطريقةٍ تفترض مسبّقاً الهوية. وباستطاعتنا قراءة هذه الأهداف بتراتبيةٍ عكسيةٍ.

III

إنّ أهمّ علاقةٍ خاصّةٍ هي تلك التي تكون مشتركةً في الذاكرة. والأمر كذلك لأنّه من السهل جدّاً الاعتقاد في أنّ يجب على وصفها أن يشير إلى الهوية.²⁰ هذا الاعتقاد المتعلّق بالذاكرة سببٌ رئيسيٌّ للرأي القائل بأنّ للهوية الشخصية طبيعةً مميزةً. لكنّ الأمر تمّت مناقشته بشكلٍ جيّدٍ عند شوميكر²¹ وويغنز²²، لذا بإمكاننا الاختصار.

¹⁷ إنّما هو ليس بشرطٍ ضروريّ، لأنّه في ظلّ غياب الاستمرارية النفسية قد تكون الهوية الجسدية «bodily identity» كافيةً.

¹⁸ قارن:

Bernard Williams, "Personal Identity and Individuation," *Proceedings of the Aristotelian Society*. LVII (1956-1957), 240-241, and *Analysis*, 21(1960-1961), 44; and also Wiggins, *op.cit.*, p. 38:

إذا تُعدّ الصدفة تحت [مصطلح] س كافيةً بحقٍ، فلا ينبغي علينا تقييد الهوية... لمجرد أنّ التّعدّي «transitivity» مهذّب.

¹⁹ وضع وليامز اعتراضاً آخر على معيار النفسية «psychological criterion»، وهو أنّه يجعل من الصّعب تفسير الاختلاف القائم بين مصطلحات الهوية والتشابه الدقيق «exact similarity» (*Analysis*, 21 [1960-1961], 48). لكن إذا ضمّينا مُتطلب الاستمرارية السببية فسنجنّب هذا الاعتراض (وأحدها وضعه ويغنز في ملاحظته (47).

²⁰ الفلاسفة الذين احتفظوا بهذا الاعتقاد كثيرٌ، من بتلر «Butler» فصاعداً، لذا لا يسعني أن أذكرهم جميعاً هنا.

²¹ *Op. Cit.*

²² راجع في مقالٍ عن اعتراض بتلر على لوك «Locke» (غير منشور)

قد تكون حقيقةً منطقيّةً «logical truth» واقعةً أننا نستطيع تذكّر تجاربنا الخاصّة فقط. لكننا نستطيع تأطير مصطلحٍ جديدٍ حيث لا يكون فيه هذا الأمر حقيقةً منطقيّةً. فلنسمّها «ش-ذاكرة» «q-memory».

كي أقوم بوضع مسوّدّة تعريفٍ²³ أنا ش-أندكّر «q-remembering» تجربةً إذا (1) لديّ اعتقادٌ يتعلّق بتجربةٍ مسبقةٍ تبدو في ذاتها شبيهةً باعتقاد ذاكرةٍ «memory belief»، وإذا (2) كان لدى أحدٍ تجربةً كهذه، وإذا (3) اعتقادي معتمدٌ على هذه التجربة بالطريقة نفسها (مهما تكن تلك الطريقة) التي تعتمد عليها ذاكرةٌ تجربةٍ.

بحسب (1) تبدو ش-الذكريات «q-memories» شبيهةً بالذكريات. إذن أنا ش-أندكّر امتلاكي تجاربٍ.

قد يبدو أنّ هذا الأمر كأنه يدفع ش-الذاكرة إلى أن تفترض مسبقاً الهوية. بإمكان أحدهم القول: «إنّ امتلاك ذاكرتي الظاهرة تجربةً هي ذاكرةٌ ظاهرةٌ عن أنّي ممتلك تجربةً. إذن كيف أستطيع أن ش-أندكّر أنّي ممتلك تجربتي شخصين آخرين؟»

يستند هذا الاعتراض على خطأ. إذ عندما يبدو أنّي أندكّر تجربةً، أبدو بالفعل أنّي أندكّر امتلاكي إيّاها.²⁴ لكن لا يمكن لهذه التجربة أن تكون جزءاً ممّا أبدو أنّي أندكّر في ما يخصّ هذه التجربة بأنني - أي الشخص الذي يبدو الآن أنّه يتذكّرها - هو الشخص الذي كانت لديه هذه التجربة.²⁵ وبأنني شيءٌ أفترضه أنا آلياً. (أحياناً تأتيني ذكرياتي الظاهرة في هيئة اعتقادٍ بأنّ لديّ تجربةً معيّنةً). لكنّه شيءٌ أنا مبرّرٌ في افتراضه فقط لأنّ ليس لديّ في الواقع ش-ذكرياتٍ لتجربتي شخصين آخرين.

لنفترض أنّني بدأت في امتلاك ذكرياتٍ كتلك. إذا حصل ذلك فعليّاً أن أتوقّف عن الافتراض أنّه على ذكرياتي الظاهرة أن تتمحور حول ذكرياتي الخاصّة بي. وعليّاً أن أقيم ذاكرةً ظاهرةً عبر طرح سؤالين: (1) هل تخبرني ذاكرتي الظاهرة عن تجربةٍ سابقةٍ «past experience»؟ (2) إذا كانت الحال كذلك فتجربةً من ستكون؟

²³ هنا أن أتبع شوميكر في ما يخصّ «شبه-الذاكرة». قارن أيضاً بينيلوم «Penelhum» في مقاله عن الهوية الشخصيّة:

Penelhum's "retro-cognition", in his article on "Personal Identity", in the *Encyclopedia of Philosophy*, ed. by Paul Edwards.

²⁴ مثلما يصوغ الأمر شوميكر، أبدو أنّي أندكّر التجربة «من الداخل» «from the inside» (م. نفسه) (*op. cit.*).

²⁵ وهذا ما تغاضى عنه العديد من الكتاب. قارن توماس ريد «Thomas Reid»: «ليست ذاكرتي شاهدةٌ أنّ هذا قد تمّ فقط، بل أنّني من

أتممته أنا من يتذكّره الآن.» (*Essays on the Intellectual Powers of Man*, ed. By A. D. Woozley)

([London, 1941], p. 203)

وهذا الخطأ قد ناقشه بالما «Palma»:

A. B. Palma in "Memory and Personal Identity", *Australasian Journal of Philosophy*, 42 (1964), 57.

علاوةً على ذلك (وهذه نقطةٌ محوريةٌ)، ستأتي ذكرياتي الظاهرة على أنها ش-ذكرياتٍ. فلنأخذ في عين الاعتبار بعض ذكريات ذكرياتي الظاهرة التي تأتيني بكلِّ بساطةٍ اعتقاداتٍ متمحورةً حول ماضي «my past»: على سبيل المثال، «قمت بذلك». إذا عرفت أنني أستطيع أن ش-أندكر تجرّبي الشخصين الآخرين، فستأتيني هذه الاعتقادات في شكلٍ أكثر تحفظاً: «على سبيل المثال، أحدٌ - وهو على الأرجح أنا - قام بذلك.» وعليّ أنا أن أكتشف مَنْ كان صاحب الفعل.

لقد اقترحت أن مصطلح ش-الذاكرة متجانسٌ، وتقدّم حالة ويغز مثلاً على ذلك. ففي حالته يكون لدى كلا الشخصين الناتجين ذكرياتٌ ظاهرةً عن عيش حياة الشخص الأصلي. إذا اتفقا أنّهما ليسا ذلك الشخص، فلا بدّ لهما أن يأخذا بعين الاعتبار هذه الذكريات الظاهرة على أنها ش-ذكرياتٍ. وعندما يُطرح عليهما أسئلةٌ مثل «هل سمعت هذه الموسيقى من قبل؟» فقد يتوجّب عليهما أن يجيبا «أنا متأكدٌ من أنني ش-أندكر سماعي إياها، لكنني لست متأكدًا من أنني أندكر سماعي إياها، ولست متأكدًا من أن أنا أم الشخص الأصلي من سمعها.»

بإمكاننا الإشارة تاليًا إلى أنه بناءً على تعريفنا تكون كلّ ذاكرةٍ ش-ذاكرةٍ أيضًا. ببساطةٍ إنّ الذكريات ش-ذكرياتٍ لتجارب المرء الخاصة به. ولأنّ الحال كذلك، باستطاعتنا الآن الاستعاضة عن مصطلح الذاكرة بمصطلح ش-الذاكرة الأشمّل. وإذا قمنا بذلك فيجب علينا وصف العلاقة القائمة بين تجربةٍ وبين ما نسميه الآن ذاكرةً لهذه التجربة بطريقةٍ لا تفترض مسبقًا أنّ من امتلكهما هو الشخص نفسه.²⁶

هذه الطريقة في وصف العلاقة لها مزايا معيّنة، إذ تُبرئ «معيار الذاكرة» «memory criterion» للهوية الشخصية من تهمّة الاستدارية «circularity».²⁷ وأعتقد أنّ بمقدورها المساهمة في مشكلة الأذهان الأخرى «problem of other minds».

²⁶ ليس ضروريًا منطقيًا ش-تندكر تجاربنا الخاصة بنا، لكنّه قد يكون ضروريًا بناءً على أسسٍ أخرى. وقد درس هذا الاحتمال بشكلٍ مثيرٍ شوميكر في «Persons and their Pasts» (op. cit.). وبين أنّ ش-الذكريات تستطيع تأمين معرفةٍ عن العالم فقط إذا ترسم المراقبات ش-المتذكّرة «q-remembered» بوضوح مساراتٍ زمكانيةٍ مستمرةً «continuous spatiotemporal paths». إذا رسمت المراقبات ش-المتذكّرة شبكةً من المسارات المتشابكة غالبًا، أعتقد أنّه لا يمكن ردّها إلى مراقبين بشكلٍ مفيدٍ، لكن لا بدّ من الإشارة إليها بطريقةٍ أكثر تعقيدًا. إنّما في الواقع ترسم المراقبات ش-المتذكّرة طرقًا منفصلةً وفرديةً، لذا بإمكاننا ردّها إلى أنفسنا. وبمعنى آخر، إنّ من الضروريّ إبستمولوجيًا «epistemologically» على المراقبات ش-المتذكّرة أن تحقّق شرطًا عامًّا حيث يسمح شكلٌ خاصٌّ لها أن تردّ إلى نفسها ذاتيًا «self-ascribed» بشكلٍ مفيدٍ.

²⁷ قارن مقال ويغز عن اعتراض بتلر على لوك.

لكن علينا أن نمضي قُدماً في المقال. إذ نستطيع تاليًا الانتقال إلى العلاقة القائمة بين المقصد والفعل المتأخر «later action». قد تكون حقيقةً منطقيّةً أننا نتقصّد أن نوّدي أفعالنا الخاصّة بنا فقط. إنّما يمكن إعادة وصف المقاصد على أنّها ش-مقاصد «q-intentions». إذ باستطاعة الشّخص الواحد أن ش-يتقصّد تأدية أفعال شخصٍ آخر.

تقدّم حالة ويغز مثلاً على ذلك أيضًا. نحن نفترض أنّ كلا الشخصين الناتجين ليسا الشّخص الأصليّ. إذا كان الأمر كذلك فعلينا أن نتفق على أنّ الشّخص الأصليّ يستطيع، قبل العمليّة، أن ش-يتقصّد تأدية أفعالهما. على سبيل المثال، باستطاعته أن ش-يتقصّد «q-intend» كواحدٍ منهما ويتابع عمله، وأن ش-يتقصّد كالشّخص الآخر منهما ويجرب شيئًا جديدًا.²⁸ (أستعمل جملة «ش-يتقصّد كواحدٍ منهما» بدلاً من جملة «ش-يتقصّد بأنّه واحدٌ منهما» لأنّ الثّانية ليس أمينةً في نقل مباشريّة العلاقة. إذا تقصّدتُ أنّ على شخصٍ آخر أن يفعل شيئًا فلن أستطيع إقناعه على فعله من خلال وضع هذا المقصد بكلّ بساطة. لكنّ إذا كنت أنا الشّخص الأصليّ، وإذا كان هذا الشّخص أحد الشّخصين الناتجين فأستطيع إذن أن أقنعه).

تذكّرنا جملة «ش-يتقصّد كواحدٍ منهما» أنّنا نحتاج إلى معنّى حيث يستطيع شخصٌ واحدٌ أن ينجو كشخصين إثنيين. إنّما باستطاعتنا أولاً الإشارة إلى أنّ مصطلحيّ ش-الذاكرة وش-المقصد يُعطينا نموذجًا «modal» يُحتذى به: هكذا إنّ الرجل الذي يستطيع أن ش-يتذكّر يستطيع أن ش-يلحظ «q-recognize»، وأن يكون ش-شاهدٍ «q-witness» عمّا لم يره من قبل؛ وإنّ الرجل الذي يستطيع أن ش-يتقصّد يستطيع أن يمتلك ش-طموحاتٍ «q-ambitions»، ويضع ش-وعود «q-promises»، وأن يكون ش-مسؤولٍ «q-responsible».

كي أشرح هذا المزعم بمصطلحاتٍ أبسط: الكثير من العلاقات متضمّنةً في الاستمراريّة النفسيّة أو أنّها تنتج عنها. نصف نحن هذه العلاقات بطرقٍ تفترض مسبقًا الوجود المستمرّ «continued existence» لشخصٍ واحدٍ. لكن نستطيع وصفها بطرقٍ جديدةٍ لا تفترض مسبقًا ذلك.

²⁸ ثمة تعقيدات هنا. باستطاعته أن يولّد ش-مقاصد مُنحرفةً «divergent» فقط إذا استطاع أن يميّز سلفًا بين الشّخصين الناتجين (مثلاً، «الأعسر» و«الأيمن»). وباستطاعته أن يكون واثقًا أنّ تلك ش-المقاصد المنحرفة ستُنقذ فقط إذا كان معتقدًا أنّ أيًا من الشّخصين الناتجين لن يغيّر رأيه (المتوارث). ولنفترض أنّه علق بين خياريّ الواجب والرغبة، فهو لا يستطيع حلّ هذه المعضلة «dilemma» عبر أن ش-يتقصّد كواحدٍ من الشخصين الناتجين ليقوم بواجبه، وأن ش-يتقصّد كالشّخص الآخر ليحقّق رغبته. وذلك لأنّ الشّخص الذي ش-تقصّد القيام بواجبه سيواجه المعضلة نفسها.

يقترح هذا الأمر مزعمًا أكثر جرأةً. من المحتمل أن نفكر في التجارب بطريقةٍ «متجرّدةٍ» «impersonal» كليًا. أنا لن أتوسّع بهذا المزعم هنا. ولكن ما سأحاول وصفه هو طريقةٌ في التفكير في هويتنا الخاصة بنا عبر الزمن «time»، وهي أكثر مرونةً وأقلّ تضليلاً من الطّريقة التي نفكر فيها الآن.

هذه الطّريقة في التّفكير ستسمح بوجود معنًى حيث يستطيع الشخص الواحد أن ينجو كشخصين. وثمة سمةٌ أكثر أهميّةً هي أنّها تتعامل مع النجاة على أنّها مسألة درجةٍ.

IV

ينبغي علينا أولاً أن نبرز الحاجة لهذه السمة الثانية. لذا سأستعمل مثلين مُتخيلين «imaginary examples». الأول هو نقيض حالة ويغنز: الاندماج «fusion». فمثلما يساعد الانقسام على تبين أنّ ما بهمٍ للنّجاة لا يحتاج إلى أن يكون أحاديًا، كذلك يساعد الاندماج على تبين أنّها قد تكون مسألة درجةٍ.

فيزيائيًا من السهل وصف الاندماج: شخصان يجتمعان معًا. وبينما يكونان غير واعيين ينمو جسدهما ليصبحا جسدًا واحدًا، ثمّ يستفيقُ شخصٌ واحدٌ.

أمّا نفسانيّة الاندماج «psychology of fusion» فهي أكثر تعقيدًا. ثمة تفصيلٌ واحدٌ تعاملنا معه مسبقًا في مثل الامتحان: لما اتّحد ذهني تذكّرت عندها امتلاكي احتسابين للمشكلة الرياضيّة. وبشكلٍ مشابهٍ يستطيع الشخص الواحد الناتج عن الاندماج أن ش-يتذكّر عيشَ حياتي الشخصين الأصليين. فلا يُفقد أيّ من ش-ذكرياتهما.

لكن لا بُدّ من فقدان بعض الأشياء. فأيّ شخصين ينصهرا معًا سيملكان خصائصَ «characteristics»، ورغباتٍ، ومقاصدَ مختلفةً. لذا كيف يمكن جمعها؟

بإمكاننا اقتراح الآتي: بعضها سيكون منسجمًا «compatible»، فباستطاعتها أن تتعايش في شخصٍ ناتج. وبعضها لن يكون منسجمًا. وهذا البعض إن كان ذا قوّة متساويةٍ يستطيع أن يُلغِيها، وإن كان ذا قوّة متفاوتةٍ فيصير الأقوى منها هو أضعفها. هكذا يُمكن توقّع هذه التأثيرات كلّها.

وسأعطي بعض الأمثلة، الأول عن الانسجام: أنا أحبّ بالاديو «Palladio» وأنوي أن أزور البندقية «Venice». إنّي على وشك الاندماج مع شخصٍ آخر يحبّ جوتو «Giotto» وينوي أن يزور البندقية. باستطاعتي معرفة أنّ

الشخص الذي سنتحوّل إليه سيمتلك كلا الدّوقين والمقصدين. أمّا المثل الثاني عن عدم الانسجام: أكره الشّعْر الأحمر، وأحبّ أن أصوّت لحزب العمّال. بينما يحبّ الشخص الآخر الشّعْر الأحمر، ويصوّت دائماً لحزب المحافظين. باستطاعتي معرفة أنّ الشخص الذي سنتحوّل إليه سيكون لامباليّاً بالشّعْر الأحمر وبالتّأخِب العائم «floating voter».

إذا كنّا على وشك خوض هذا النوع من الاندماج هل ينبغي علينا أن نعتبره موتاً؟

إنّ البعض ممّا قد يعتبره كذلك. وهذا أقلّ سخفًا من اعتبار الانقسام موتاً. إذ بعد انقسامي سيكون الشخصان الناتجان مثلي في النّواحي جميعها، في حين أنّه بعد اندماجي لن يكون الشخصُ الناتجُ مشابهًا كليًا. وهذا ما سيسهّل القول لحظة الاندماج: «أنا لن أنجو»، وبذلك تبقى النّجاة مسألةً لا موقفًا وسطًا فيها.

هذا التّفاعل هو أقلّ سخفًا، لكنّ ثمة تماثلين «Analogies» يعارضانه هنا.

في التّماتل الأول: سيّشمل الاندماج تغيير بعض خصائصنا وبعض رغباتنا. ولكنّ وحده المكتفي ذاتيًا سيُعتبر الاندماج موتاً. ويرحّب الكثيرون بالعلاجات عبر هذه التّأثيرات.

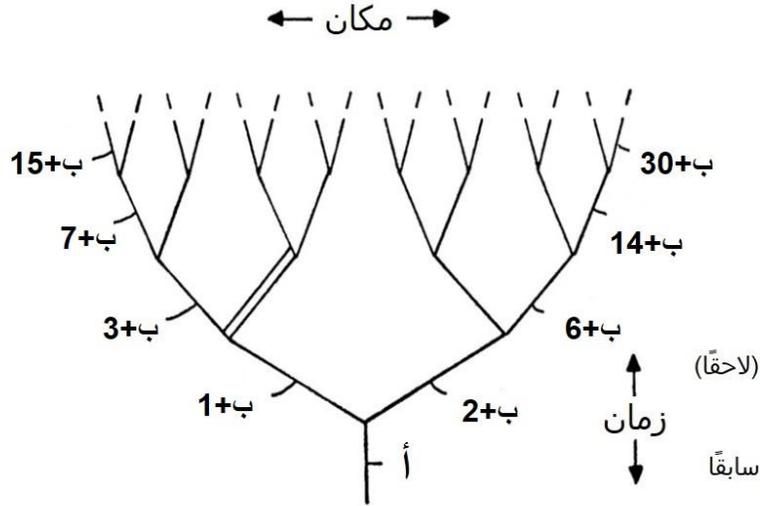
في التّماتل الثاني: باستطاعة المرء الذي على وشك الاندماج أن يمتلك سلفًا «سيطرةً قصديّةً» «intentional control» على أفعال الفردين الناتجين كممثل المرء الذي على وشك الرّواج باستطاعته أن يمتلك سلفًا سيطرةً قصديّةً على أفعال الثنائيّ الناتجين «resulting couple». وكما يؤخذ بعين الاعتبار خيار شريك الرّواج كذلك يكون خيار شريك الاندماج. وبإمكان الشخصين الأصليين أن يتأكّدا (وربّما عن طريق «اختبار الاندماج» «trial fusion») من أنّ لديهما الخصائص، والرّغبات، والمقاصد المنسجمة.

لقد اقترحت أنّ الاندماج، على الرّغم من أنّه ليس نجاهً بمعناها الضيق، فهو ليس فشلًا في النّجاة أيضًا، وتاليًا بإمكان ما يهّم في النّجاة أن يكون ذا درجاتٍ.

لتعزيز هذا المزعم باستطاعتنا الآن الانتقال إلى المثل الثاني، أي كائناتٌ متخيّلةٌ معيّنة. هذه الكائنات تشبهنا تمامًا عدا أنّها تتكاثر عبر عمليّة انقسامٍ طبيعيّ.

بإمكاننا توضيح تاريخ هذه الكائنات المتخيّلة بمساعدة رسمٍ بيانيّ، (تعثر عليه في الصّفحة التّالية). تمثّل الخطوط الموجودة على الرّسم البيانيّ المسارات الزّمكانيّة «spatiotemporal paths» التي سترسمها أجسام

هذه الكائنات. بإمكاننا تسمية كلِّ خطِّ (مثل الخطِّ المزدوج) «غصناً»؛ وبإمكاننا تسمية البنية بكاملها «شجرة». ولنفترض أنّ كلَّ جذعٍ يتجانس مع ما نعتبره نحن حياة الفرد الواحد.



هؤلاء الأفراد يُشار إليهم بـ«أ»، «ب+1»، وهكذا دواليك.

والآن إنّ كلَّ انقسامٍ فرديٍّ هو مثيلٌ لحالة ويغنز. إذن تكون علاقة أ بكلا ب+1 و ب+2 مساويةً للنّجاة. لكنّ ماذا عن علاقة أ بـب+30؟

لقد قلت سابقاً أنّ ما يهمّ في النّجاة يمكن الإشارة إليه مؤقتاً «بالاستمرارية النفسية». أمّا الآن فلا بدّ لي تمييز هذه العلاقة عن علاقةٍ أخرى سادعوها «التّرابطية النفسية» «psychological connectedness».

فلنقل أنّ العلاقة القائمة بين ش-ذاكرةٍ والتّجربة ش-المتذكّرة هي علاقةٌ «مباشرة». وثمة علاقةٌ مباشرةٍ أخرى وهي القائمة بين ش-المقصد وش-الفعل المتقصد «q-intended action». أضف إليهما علاقةً ثالثةً بين التعبيرات المختلفة لإحدى ش-الخصائص الدائمة.

إنّ «التّرابطية النفسية»، كما عرّفها، تتطلّب الإمساك بهذه العلاقات النفسية المباشرة. ليست «التّرابطية» متعديةً، لأنّ هذه العلاقات بدورها ليست متعديةً. هكذا إذا ش-تتذكّر س معظم حياة ص، وإذا ص ش-تتذكّر

معظم حياة ز، فلا يستتبع ذلك أن س ش-تتذكر معظم حياة ز. وإذا س تنقذ ش-مقاصد ص، و ص تنقذ ش-مقاصد ز، فهذا لا يستتبع أن س تنقذ ش-مقاصد ز.

بمقابل ذلك، لا تتطلب الاستمرارية النفسية سوى تجاوز سلاسل العلاقات النفسية المباشرة. إذن إن الاستمرارية متعدية.

بالعودة إلى رسمنا البياني: أهي مستمرة نفسياً مع ب+30، وثمة بينهما سلاسل مستمرة من العلاقات المتشابكة. إذن لدى أ سيطرة ش-قصديّة على ب+2، لدى ب+2 سيطرة ش-قصديّة على ب+6، وهكذا دواليك حتى بلوغ ب+30. أو باستطاعة ب+30 أن ش-تتذكر حياة ب+14، باستطاعة ب+14 أن ش-تتذكر حياة ب+6، وهكذا دواليك حتى الرجوع إلى أ.²⁹

بينما لا تحتاج أ إلى أن تكون مرتبطة نفسياً مع ب+30. تتطلب الترابطية علاقات مباشرة. وإن تكن تلك الكائنات شبيهة بنا فلا تستطيع أن تكون قائمة في علاقات مع كل فرد من «شجرتها» الطويلة إلى ما لا نهاية. ستصاب ش-الذكريات بالضعف مع مرور الزمن ثم ستذوي. وحينما تتحقق ش-الطموحات سوف تُستبدل بأخرى. أما ش-الخصائص فستتغير تدريجياً. عموماً، تكون أ قائمة في علاقات نفسية أقل مع فرد واحد في شجرتها كلما يكون ذلك الفرد بعيداً عنها. وإن يكن الفرد بعيداً بشكل كافٍ (مثل ب+30) فقد لا تكون بين الاثنين علاقات نفسية مباشرة.

الآن بما أننا ميّزنا بين العلاقات العامة للاستمرارية النفسية والترابطية النفسية، أقترح أن الترابطية عنصر أهم في النجاة. ولأنه مزعم متعلق بنجاتنا فهو يحتاج إلى مزيد من الحجج، ولا أملك المجال لتقديمها. لكن الأمر يبدو صادقاً في حالة كائناتي المتخيلة: أهي قريبة نفسياً من ب+1 مثلما أنا اليوم قريب من نفسي غداً. أبعيدة عن ب+30 مثلما أنا بعيد عن حفيد حفيد حفيدي.

حتى لو لم تكن الترابطية أهم من الاستمرارية، فواقعه أن إحداها علاقة درجة هو كافٍ لإظهار أنه باستطاعة ما يهّم في النجاة أن يمتلك درجات. وفي أي حالة إن العلاقات مختلفتان تماماً. إذن إن كائناتنا المتخيلة ستحتاج إلى طريقة تفكير حيث يتم فيه الاعتراف بهذا الاختلاف.

²⁹ على سلسلة الاستمرارية «chain of continuity» أن تسيّر في اتجاه زمني واحد. ليست ب+2، بالمعنى الذي أقصده، مستمرة نفسياً مع ب+1.

ما أقترحه هو الآتي: أولاً يستطيع أ التفكير في أي فردٍ، بأيّ مكانٍ في «شجرته»، على أنه «ذاتٌ سليله» «descendant self»، وتتضمّن هذه الجملة الاستمرارية النفسية. كذلك يستطيع أي فردٍ لاحقٍ «later individual» أن يُفكّر في أيّ فردٍ سابقٍ «earlier individual» على المسار الواحد³⁰ الذي يربطه ب أ على أنه «ذاتٌ أصيلة» «ancestral self».

لأنّ الاستمرارية النفسية متعدية، فإنّ «كون المرء ذاتاً أصيلةً لـ» «being an ancestral self of» و«كون المرء ذاتاً سليله من» «being a descendant self of» متعديتان أيضاً.

لتضمين الترابطية النفسية أقترح الجمل التالية: «إحدى ذواتي المستقبلية» و«إحدى ذواتي الماضية».

هذه هي الجمل التي نستطيع من خلالها وصف حالة ويغنز. ما كنّا بحاجة إليه في امتلاك ذواتٍ ماضيةٍ ومستقبليةٍ هو طريقةٌ لاستمرار الوجود، وهذه الطريقة لا تشير إلى الهوية عبر الزمن. بهذا المعنى ينجو الشخص الأصلي من عملية ويغنز: الشخصان الناتجان يكونان ذواته اللاحقة. وباستطاعة كل واحدٍ منهما أن يشير إليه على أنه «ذاتي الماضية» «my past self»، (باستطاعتهم أن يتشاركا ذاتاً ماضيةً من دون أن يكون كل واحدٍ منهما الذات نفسها كالآخر).

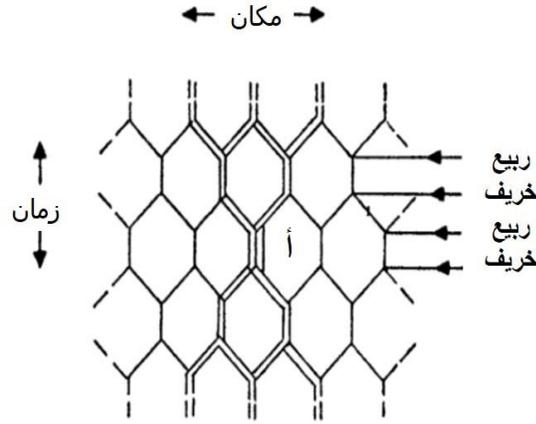
بما أنّ الترابطية النفسية ليست متعدية، وهي مسألة درجاتٍ، فيجب اعتبار علاقتي «كون المرء ذاتاً ماضيةً لـ» و«كون المرء ذاتاً مستقبليةً لـ» أيضاً أنّهما علاقات ذات درجاتٍ. ونسمح بهذه السلسلة من الأوصاف: «ذاتي الأحدث»، «إحدى ذواتي الأولية»، «إحدى ذواتي البعيدة»، «إحدى ذواتي الماضية تقريباً (باستطاعة تذكري جزئياً فقط بضع تجاربه)»، وأخيراً جملة «ليست بأي شكلٍ إحدى ذواتي الماضية لكتها مجرد ذاتٌ أصيلة».

ستلائم هذه الطريقة في التفكير أولى كائناتنا المتخيّلة. لكن فلنعد الآن إلى النوع الثاني من الكائنات، أي تلك التي تتكاثر بفعل الاندماج والانقسام أيضاً.³¹ ولنفترض أنّها تندمج كل خريفٍ وتنقسم كل ربيعٍ. هذا يقودنا إلى الرّسم البياني الآتي:

³⁰ قارن:

David Wiggins, *op. cit.*

³¹ قارن:



إن يكن أ هو الفرد الذي يمثل «الغصن» ذو الثلاثة خطوط حياته، فإن «الشجرة» ذات الخطين تمثل تلك الحيوانات المستمرة نفسياً مع حياة أ. (يمكن ملاحظة أن كل فرد لديه «شجرته» الخاصة به، والتي تتشابه مع أشجار أخرى).

بالنسبة للكائنات المتخيلة في هذا العالم الثاني، ستشمل تلك الجمل: «ذات أصيلة» و«ذات سائلة» الكثير كي تكون مفيدة. (قد يكون هناك تاريخان لدرجة أن كل فرد عاش قبل التاريخ الأول كان ذاتاً أصيلة لكل فرد سيعيش بعد التاريخ الثاني). وبالعكس تماماً، بما أن حيوات كل فرد تدوم لنصف السنة فقط، فستشمل كلمة «أنا» القليل كي تقوم بالعمل المطلوب منها. إذن إن جزءاً من هذا العمل ينبغي أن يتم عند تلك الكائنات الثانية من خلال التكلّم عن الدّوات الماضية والمستقبلية.

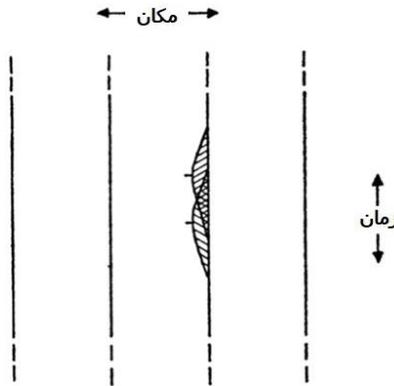
باستطاعتنا الآن التنبيه إلى العيب النظري في طريقة التفكير التي اقترحناها. إن جملة «ذات ماضية ل» تتضمن الترابطية النفسية. تُعامل جملة «كون المرء ذاتاً ماضية ل» على أنها علاقة درجة كي تُستعمل لتضمين الدرجات المتفاوتة للترابطية النفسية. لكنّ هذه الجملة باستطاعتها فقط أن تتضمن درجات الترابطية بين الحيوانات المختلفة، فلا يمكن استعمالها من ضمن حياة واحدة. ولا تشير طريقتنا في تحديد الحيوانات المتتابعة إلى درجات الترابطية النفسية. هكذا ليس ثمة من ضمانة أن باستطاعة استعمال هذه الجملة «ذات ماضية ل» حينما يُحتاج إليها. ليس ثمة من ضمانة أن الترابطية النفسية لن تتفاوت في الدرجة من ضمن الحياة الواحدة.

Sydney Shoemaker in “persons and Their Pasts,” *op. cit.*

هذا العيب لا يتعلّق بكائناتنا المتخيّلة، إذ إنّها تنقسم وتتحدّ غالبًا، وإنّ حيواتها قصيرة جدًا، لدرجة أنّ الترابطيّة النفسيّة ستبقى دائمًا في حدّها الأقصى من ضمن الحياة الواحدة.

أخيرًا، فلننظّل على النوع الثالث من الكائنات.

ليس في هذا العالم من انقسامٍ أو اتّحادٍ. ثمّة عددٌ من الأجسام الأبدية التي تتغيّر تدريجيًّا في المظهر. وتحفظ العلاقات النفسيّة المباشرة، كما قبل، بمُدَدٍ محدودةٍ من الزّمن. ويمكن توضيحها برسمٍ بيانيّ ثالثٍ. في هذا الرّسم البيانيّ يمثّل التّظليلان «two shadings» درجات الترابطيّة النفسيّة وصولاً إلى نقطتهما المركزيّة.



لا يمكن لهذه الكائنات أن تستعمل طريقة التفكير التي اقترحناها. ولأنّه ليس ثمّة من تفرّع للاستمراريّة النفسيّة، فعلى هذه الكائنات أن تعتبر نفسها خالدةً. من الممكن القول أنّ هذه هي حقيقتهم. لكنني أقترح أنّ ثمّة من وصفٍ أفضل لها.

سيكون لدى كائناتنا سببٌ واحدٌ لاعتبار أنفسها خالدةً. إنّ أجزاء كلّ «خطّ» هي مستمرّةٌ كلّها نفسيًّا. لكنّ أجزاء كلّ «خطّ» ليست مترابطةً كلّها نفسيًّا. العلاقات النفسيّة المباشرة قائمةٌ فقط بين هذه الأجزاء التي يقرب كلّ واحدٍ منها للآخر في الزّمن. وهذا ما يعطي كائناتنا سببًا كي لا تفكّر في كلّ خطّ على أنّه يوازي حياةً واحدةً. فإذا فكّرت، لن تملك أيّة طريقةٍ لتضمين هذه العلاقات المباشرة. على سبيل المثال عندما يقول متكلّم «أمضيت مدّةً في فعل هذا وذاك»، فإنّ مستمعيه ليسوا مجبورين على افتراض أنّ لدى المتكلّم أيّة ذكرياتٍ عن هذه المدّة، وأنّ شخصيّةً حينها وشخصيّةً في هذه اللّحظة هما بأيّ شكلٍ متشابهتان، وأنّه الآن ينفذ أيًّا من الخطط أو

المقاصد التي امتلكها آنذاك، وهكذا دواليك. لأنّ كلمة «أنا» لن تحمل أيّاً من هذه المتضمّنات، فهي لن تعطي هذه الكائنات الخالدة المنفعة التي تعطيها لنا.³²

للحصول على طريقة أفضل للتفكير علينا تنقيح طريقة التفكير التي اقترحناها سابقاً. أمّا التنقيح فهو الآتي: يمكن التمييز بين الدّوات المتلاحقة من خلال الإحالة، لا إلى تفريع الاستمرارية النفسيّة، بل إلى درجات الترابطيّة النفسيّة. ولأنّ هذه الترابطيّة هي مسألة درجة فإنّ ترسيم هذه التمييزات يمكن تركه إلى خيار المتكلّم ويُسمح له بالتفاوت من سياقٍ إلى آخر.

تبعاً لهذه الطريقة في التفكير يمكن استعمال كلمة «أنا» للإشارة إلى أكبر درجة من الترابطيّة النفسيّة. إذ عندما تُختزل الترابطات، وعندما يكون أيّاً من التغيير الواضح للشخصيّة أو لنمط الحياة، أو أيّ فقدانٍ ظاهرٍ للذاكرة، فستقول كائناتنا المتخيّلة «ليس أنا من قام بذلك إنّما ذاتٌ أوّليّة». ثمّ باستطاعتها وصف تلك الدّات بشقّي الطرق والدّرجات، تبعاً لاتّصالهم بهذه الدّات الأوّليّة.

لن تلائم هذه الطريقة المنقّحة في التفكير كائناتنا الخالدة وحدها، بل إنّها أيضاً الطّريقة التي باستطاعتنا نحن التّفكير بها في ما يخصّ حيواتنا. وأقترح بأنّها طبيعيّة بشكلٍ مفاجئٍ.

قد استعمل العديد من الكتاب إحدى سماتها، ألا وهي التّمييز بين الدّوات المتلاحقة. وكي أعطي مثلاً واضحاً من عند بروست «Proust»: «وبينما نحن واقعون في الحبّ، نكون غير قادرين على التّصرّف كخلفاء قُدواتٍ للأشخاص التّاليين الذين، لحظة لم نعد واقعين في الحبّ، سوف نتحوّل إليهم في الوقت الحالي...»³³

على الرّغم من أنّ بروست ميّز بين الدّوات المتلاحقة فقد بقي يعتبر الشّخص الواحد كونه هذه الدّوات المختلفة. وهذا ما لن نفعله في طريقة التفكير التي اقترحتها. إذا قلتُ «لن يكون أنا، لكنّه أحد ذواتي المستقبلية»، فأنا لا أتضمّن أنّي سأكون تلك الدّات المستقبلية. إنّّه أحد ذواتي اللاحقة، وأنا أحد ذواته الأوّليّة. ليس ثمة من شخصٍ ضمّيّ «underlying person» نكوّنه كلانا.

كي أبين سمةً أخرى لهذه الطريقة في التفكير: عندما أقول «ليس من شخصٍ نكوّنه كلانا» فأنا لا أعطي سوى قراري. باستطاعة شخصٍ آخر أن يقول «سيكون أنت»، وبذلك يكون قد اتخذ قراراً مغايراً. ليس ثمة من خلافٍ

³² قارن:

Austin Duncan Jones, "Man's Morality", *Analysis*, 28 (1967-1968), 65-70.

³³ Within a Budding Grove (London, 1949), I, 226.

• تجدر الإشارة إلى أنّ اقتباس بروست هو من ترجمة كاتب هذا المقال ديريك بارفيت.

حول كون كلا القرارين خطأً. سواءً أقلت «أنا» أم «إحدى ذواتي المستقبلية» أم «ذاتٌ سليمةٌ»، فالمسألة بكاملها هي مسألة خيارٍ. أمّا الواقعة التي لا بدّ أن نتوافقَ عليها فهي إمكانية تطبيق الانفصال «disjunction». (هكذا يتحوّل السؤال «هل س و ص هما الشخص نفسه؟» إلى «هل س على الأقل ذاتٌ أصيلةٌ [أو سليمةٌ] ل ص؟»).

VI

لقد حاولت أن أظهرَ أنّ ما يهَمُّ في الوجود المستمرّ لشخصٍ هو، على الأغلب، علاقاتُ ذاتٍ درجاتٍ. ولقد اقترحت طريقةً في التفكير حيث يمكن لحظ ذلك.

سأختم المقالة باقتراح نتيجتين وطرح سؤالٍ.

أحياناً إنّ التصرف من أجل مصالحنا الفضلى يُعدّ عقلانياً «rational». لكنّي أقترح أنّه ليس لمبدأ المنفعة الذاتية أية قوّة. ثمّة مُنافساتٍ فعليّين فقط في هذا المجال الخاصّ. واحدٌ هو مبدأ العقلانية المُعرضة «Principle of biased rationality»: افعل ما يحقّق لك ما تريده فعليّاً. والثاني هو مبدأ عدم التّحيّز «Principle of impartiality»: افعل ما يصبُّ في أفضل مصالح كلّ شخصٍ معنيٍّ بالأمر.

أعتقد أنّ القوّة الظاهرة لمبدأ المنفعة الذاتية تُستمدُّ من هذين المبدأين.

عادةً ما يدعم مبدأ العقلانية المتحيّزة مبدأ المنفعة الذاتية. وذلك لأنّ معظم النّاس يهتمّون بمصالحهم المستقبلية.

فلنفترض أنّ هذا المسند ناقصٌ. ولنفترض أنّ رجلاً لا يهتمّ بما يحدث له في المستقبل البعيد. بالنسبة لهذا الرجل، يُمكن دعم مبدأ المنفعة الذاتية فقط من خلال طلب المساندة من مبدأ عدم التّحيّز. علينا أن نقول: «حتى لو أنّك لا تهتمّ، عليك أن تأخذَ ما يحدث لك حينها بشكلٍ متساوٍ في الحسبان.» لكنّ لا يبدو لي في هذا المزعم الخاصّ حججاً جيّدةً. يمكن دعمه فقط على أنّه جزءٌ من المزعم العامّ: «عليك أن تأخذَ ما يحدث للنّاس كلّهم بشكلٍ متساوٍ في الحسبان.»³⁴

يطلب المزعم الخاصّ من المرء أن يساوي أجزاء مستقبله كلّها. أمّا الحجّة في ذلك فهي أنّ أجزاء مستقبله كلّها هي بتساوٍ أجزاء مستقبله. وهذا صحيحٌ. ولكّنها حقيقةٌ سطحيّةٌ جدّاً كي تُحمّل هذه الحجّة. (وسأعطي تماثلاً

³⁴ قارن: Thomas Nagel's *the Possibility of Altruism* (Oxford, 1970) حيث يُدافع فيه عن المزعم الخاصّ فعليّاً كجزءٍ من المزعم العامّ.

على ذلك: إنَّ وحدة أمةٍ هي في طبيعتها مسألة ذات درجاتٍ. إذن إمَّا حقيقةٌ سطحيَّةٌ أنَّ أبناءَ بلدٍ رجلٍ جميعهم يكونونَ بتساوٍ أبناءَ بلده. لذا لا يمكن لهذه الحقيقة أن تدعم حجَّةً جيِّدةً للقوميَّة.³⁵

لقد اقترحت أنَّ مبدأ المنفعة الذاتية ليس لديه قوَّةٌ في ذاته. وإن كان الأمر كذلك فليس ثمة من مشكلةٍ خاصَّةٍ في واقعة أنَّ ما ينبغي علينا فعله يمكن أن يكون ضدَّ مصالحنا. وثمة مشكلةٌ عامَّةٌ فقط وهي أنَّها ليست ما نريد فعله.

أما النَّتيجة الثَّانية التي سأذكرها فمتضمَّنةٌ في الأولى. فالأنانيَّة، والخوف من الموت البعيد لا القريب، والنَّدم أنَّ الكثير من سنين حياة المرء الوحيدة انقضت - أعتقد أنَّها ليست طبيعيَّةً أو فطريَّةً بكاملها. إذ إنَّ الاعتقادات المتعلِّقة بالهويَّة الشخصيَّة، والتي شرعتُ في مهاجمتها سابقًا، تقويها كلَّها. وإذا تخلَّينا عن هذه الاعتقادات فسوف تُصاب بالضَّعف.

سؤالِي الأخير هو الآتي: هذه المشاعر سيئةٌ، وإذا جعلناها ضعيفةً فسنكسب. لكن هل باستطاعتنا الوصول إلى هذا المكسب من دون، مثلاً، جعل الولاء للذوات الخاصَّة الأخرى، أو محبَّتها، ضعيفين أيضًا؟ مثلما حدَّر هيوم «Hume» أنَّ «التفكُّرات المنقَّحة» «refined reflections» التي تقترحها الفلسفة... لا تستطيع إلغاء... انفعالاتنا الفاسدة... من دون إلغاء... تلك الانفعالات الفاضلة أيضًا. إمَّا... قابليَّةٌ للتطبيق على عواطفنا كلَّها. وعبثًا نحن نرجو أن توجَّه تأثيراتها إلى جانبٍ واحدٍ فقط.³⁶

ذلك الرِّجاء هو بلا جدوى، ولكن كان لهيوم رجاءٌ آخر ألا وهو: يعتمد أكثر ما هو سيِّئٌ على الاعتقاد الخطأ. وهذا هو رجائي أيضًا.

ديريك بارفيت

³⁵ غالبًا ما نضخَّ مسألة وحدة الأمة. وذلك لأننا غالبًا ما لا نعتبر الأمم أنَّها وحداتٌ بل نفكر فيها بطريقةٍ أكثر تعقيدًا. إذا فكرنا بأنفسنا بالطريقة التي اقترحتها فمن غير المرجَّح أن نضخَّ هويتنا الخاصَّة بنا ونعطيها حجمًا أكبر ممَّا هي عليه. مثلاً، يُقال لنا أحيانًا: «إنه من غير المنطقي أن تتصرَّف بعكس مصالحك الخاصَّة. فبالنهاية ستكون أنت النادم على فعل ذلك.» وعلى هذا القول بإمكاننا الردَّ: «كلَّا لن أندم. ولن تندم حتَّى إحدى ذواتي المستقبلية. من سيندم هو ذاتٌ سليمةٌ فقط.»

³⁶ “The Sceptic”, in “Essays Moral, Political and Literary”, *Hume’s Moral and Political Philosophy* (New York, 1959), p. 349.

ثبُتُ المصطلحات

انكليزيّ	عربيّ
Amoeba	الأميبا
Analogy	التّمائل
Ancestral self	ذاتُ أصيلةٌ
Apparent memories	الذّكريات الظّاهرة
Belief	الاعتقاد
Branching form	شكلٌ متفرّعٌ
Case/Cases	حالة/حالات
Causal continuity	الاستمراريّة السببيّة
Character	شخصيّة
Characteristics	خصائص
Circularity	الاستداريّة
Connectedness	التّرابطيّة
Criterion/Criteria	معيّار/معايير
Descendant self	ذاتُ سليله
Division	الانقسام
Epilepsy	الصّرع
Experience	التّجربة
Feature	سمة
Fusion	الاندماج
Future self	الذّات المستقبلية
Giotto	جوتو
Hemispheres of the brain	نصفي الكرة للدماغ
Hume	هيوم
Impersonal	متجرّدة
Intention	المقصد

Intentional control	سيطرة قصديّة
Judgment(s)	حكم/أحكام
Later action	الفعل المتأخّر
Left-handed stream	اتّجاهي الأيسريّ اليد
Logical truth	حقيقةً منطقيّةً
Memory belief	اعتقاد ذاكرة
Memory criterion	معيّار الذاكرة
Mind	الدّهن
Non-branching psychological continuity	الاستمراريّة النفسيّة اللامتفرّعة
Nought	الصّفّر
One-many form	شكلٌ متعدّدٌ
One-one relation	علاقةً أحاديّةً
Original person	الشّخص الأصليّ
Palladio	بالاديو
Past experience	تجربةً سابقةً
Past self	ذاتٌ ماضيّةً
Person	شخص
Personal Identity	الهويّة الشخصيّة
Presuppose	يفترض مسبقاً
Principle of biased rationality	مبدأ العقلانيّة المتحيّزة
Principle of impartiality	مبدأ عدم التّحيّز
Problem of other minds	مشكلة الأذهان الأخرى
Properties of identity	خواصّ الهويّة
Proust	بروست
Psychological connectedness	الرّابطيّة النفسيّة
Psychological continuity	الاستمراريّة النفسيّة
Psychologically continuous	مستمرّ نفسيّاً

Q-ambitions	ش-طموحات
Q-intention(s)	ش-مقصد/ش-مصاعد
Q-memories	ش-الذكريات
Q-memory (quasi-memory)	ش-ذاكرة (شبه ذاكرة)
Q-promises	ش-وعود
Q-recognize	ش-يلحظ
Q-remembering	ش-أندكر
Q-responsible	ش-مسؤول
Q-witness	ش-شاهد
Relations of degree	علاقات ذات درجات
Resulting person	الشخص الناتج
Right-handed stream	اتجاهي الأيمن اليد
Self-interest	المنفعة الذاتية
Shoemaker	شوميكر
Spatiotemporal paths	المسارات الزمكانية
Sphere of consciousness	حلقة الوعي
Stream	اتجاه
Transitive	المتعدّي
Trial fusion	اختبار الاندماج
Venice	البندقية
What matters	ما يهم
Wiggins	ويغنز
Williams	وليامز